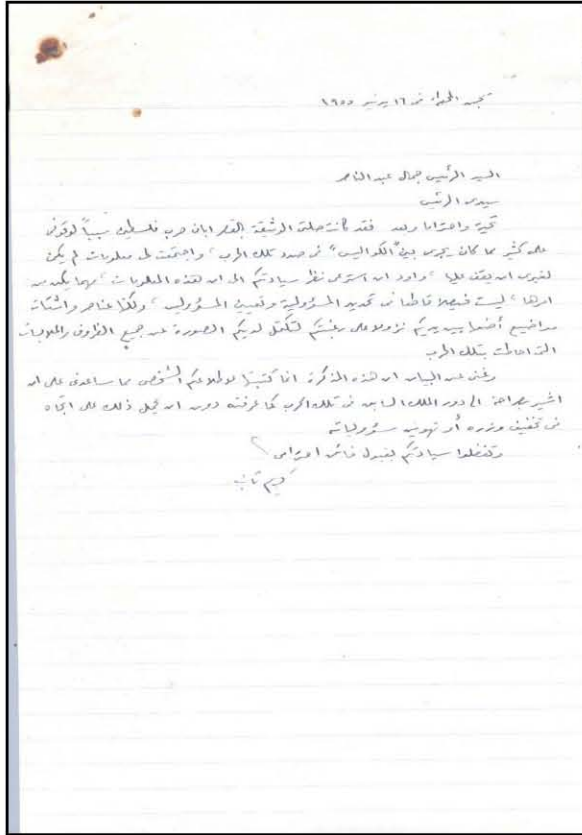


سجن المحطة في ١٦ يونيو ١٩٥٥

السيد الرئيس جمال عبد الناصر

سيدي الرئيس



تحية واحتراما وبعد، فقد كانت صلتى الوثيقة  
بالقصر إبان حرب فلسطين سببا لوقوفى على  
كثير مما كان يجرى بين "الكواليس" في صدد تلك  
الحرب، واجتمعت لى معلومات لم يكن لغيرى أن  
يقف عليها، وأود أن استرعى نظر سيادتكم إلى  
أن هذه المعلومات، مهما يكن من أمرها، ليست  
فيصلا قاطعا في تحديد المسؤولية وتعيين  
المسؤولين، ولكنها عناصر وأشتات مواضع  
أضعها بين يديكم؛ نزولا على رغبتكم لتكتمل  
لديكم الصورة عن جميع الظروف والملابسات  
التي أحاطت بتلك الحرب.

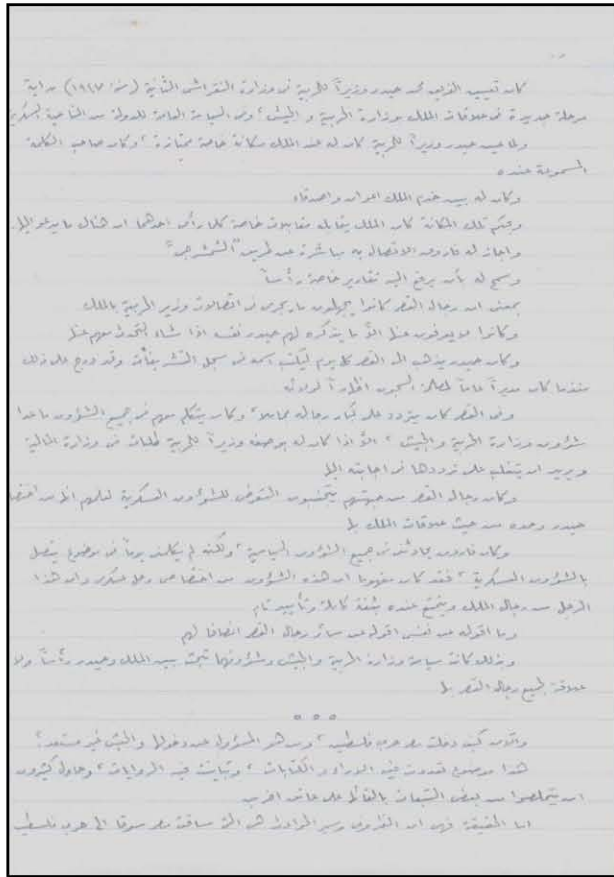
وغنى عن البيان أن هذه المذكرة إنما كتبتها لاطلاعكم الشخصي؛ مما ساعدنى على أن أشير بصراحة إلى  
دور الملك السابق في تلك الحرب كما عرفته، دون أن يحمل ذلك على اتجاه في تخفيف وزره أو تهوين  
مسئوليته.

وتفضلوا سيادتكم بقبول فائق احترامى،

كريم ثابت

كان تعيين الفريق محمد حيدر وزيراً للحربية في وزارة النقراشي الثانية (سنة ١٩٤٧) بداية مرحلة جديدة في علاقات الملك بوزارة الحربية والجيش، وفي السياسة العامة للدولة من الناحية العسكرية.

ولما عين حيدر وزيراً للحربية كان له عند الملك مكانة خاصة ممتازة، وكان صاحب الكلمة المسموعة عنده، وكان له بين خدم الملك أعوان وأصدقاء. وبحكم تلك المكانة.. كان الملك يقابله مقابلات خاصة، كلما رأى أحدهما أن هناك ما يدعو إليها. وأجاز له فاروق الاتصال به مباشرة عن طريق "الشمشرجي"، وسمح له بأن يرفع إليه تقاريراً خاصة رأساً. بمعنى أن رجال القصر كانوا يجهلون ما يجري في اتصالات وزير الحربية بالملك، وكانوا لا يعرفون عنها إلا ما يذكره لهم حيدر نفسه؛ إذا شاء التحدث معهم عنها.



وكان حيدر يذهب الى القصر كل يوم ليكتب اسمه في سجل التشريفات، وقد درج على ذلك منذ ما كان مديراً عاماً لمصلحة السجون؛ اظهاراً لولائه. وفي القصر كان يتردد على كبار رجاله مجاملاً، وكان يتكلم معهم في جميع الشئون ما عدا شئون وزارة الحربية والجيش، الا اذا كان له بوصفه وزيراً للحربية طلبات في وزارة المالية، ويريد أن يتغلب على ترددها في إجابته إليها. وكان رجال القصر من جهتهم يتجنبون التعرض للشئون العسكرية؛ لعلمهم أنها من اختصاص حيدر وحده من حيث علاقات الملك بها.

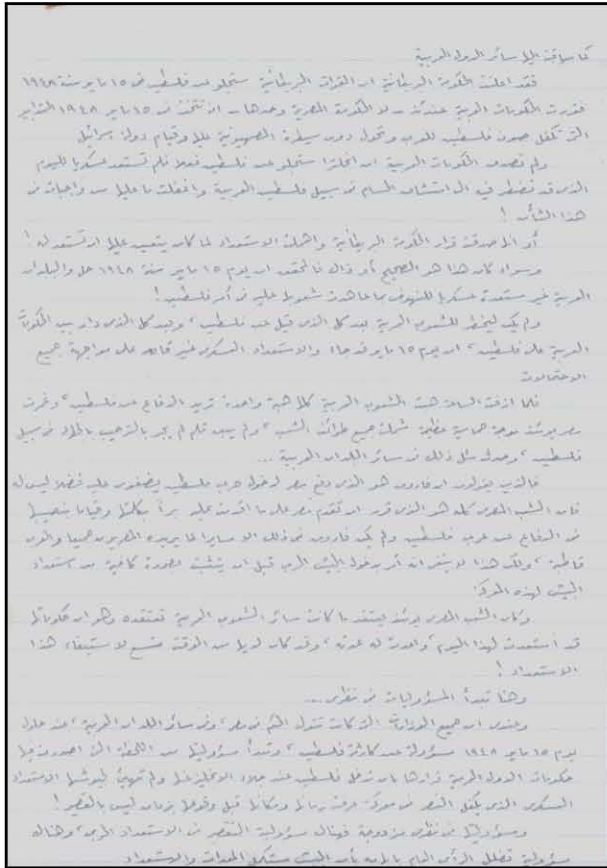
وكان فاروق يحادثني في جميع الشئون السياسية، ولكنه لم يكلمني يوماً في موضوع يتصل بالشئون العسكرية؛ فقد كان مفهوماً أن هذه الشئون من اختصاص رجل عسكري، وأن هذا الرجل من رجال الملك، ويتمتع عنده بثقة كاملة وتأييد تام.

وما أقوله عن نفسي أقوله عن سائر رجال القصر؛ إنصافاً لهم؛ وبذلك كانت سياسة وزارة الحربية والجيش وشئونها تبحث بين الملك وحيدر رأساً، ولا علاقة لجميع رجال القصر بها.

♦ ♦ ♦ ♦ ♦

والآن كيف دخلت مصر حرب فلسطين؟ ومن هو المسئول عن دخولها والجيش غير مستعد؟

هذا موضوع تعددت فيه الآراء والكتابات، وتباينت فيه الروايات، وحاول كثيرون أن يتملصوا من بعض التبعات بالقائها على عاتق آخرين. أما الحقيقة فهي أن الظروف وسير الحوادث هي التي ساقطت مصر سوقا الى حرب فلسطين، كما ساقطت اليها سائر الدول العربية.



فقد أعلنت الحكومة البريطانية أن القوات البريطانية ستجلب عن فلسطين في ١٥ مايو سنة ١٩٤٨؛ فقررت الحكومات العربية عندئذ - لا الحكومة المصرية وحدها - أن تتخذ في ١٥ مايو ١٩٤٨ التدابير التي تكفل صون فلسطين للعرب، وتحول دون سيطرة الصهيونية عليها وقيام دولة إسرائيل.

ولم تصدق الحكومات العربية أن إنجلترا ستجلب عن فلسطين فعلا؛ فلم تستعد عسكريا لليوم الذي قد تضطر فيه إلى امتشاق الحسام في سبيل فلسطين العربية، وأغفلت ما عليها من واجبات في هذا الشأن! أو أنها صدقت قرار الحكومة البريطانية، وأهملت الاستعداد لما كان يتعين عليها أن تستعد له!

وسواء كان هذا هو الصحيح أو ذاك.. فالمحقق أن يوم ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ حل، والبلدان العربية غير مستعدة عسكريا للنهوض

بما عاهدت شعوبها عليه في أمر فلسطين! ولم يكن ليخطر للشعوب العربية بعد كل الذي قيل عن فلسطين، وبعد كل الذي دار بين الحكومات العربية على فلسطين، أن يوم ١٥ مايو قد جاء والاستعداد العسكري غير قادر على مواجهة جميع الاحتمالات.

فلما أزفت الساعة.. هبت الشعوب العربية كلها هبة واحدة تريد الدفاع عن فلسطين، وغمرت مصر يومئذ موجة حماسية عظيمة شملت جميع طوائف الشعب، ولم يبق قلم لم يجر بالترحيب بالجهاد في سبيل فلسطين، وحدث مثل ذلك في سائر البلدان العربية..

فالذين يقولون أن فاروق هو الذي دفع مصر لدخول حرب فلسطين يصفون عليه فضلا ليس له، فإن الشعب المصري كله هو الذي قرر أن تقدم مصر على ما أقدمت عليه؛ براً بكلمتها وقياماً بنصيبتها في الدفاع عن عرب فلسطين، ولم يكن فاروق في ذلك الا مسائرا لما يريده المصريون جميعا والعرب قاطبة، ولكن هذا لا ينفي أنه أمر بدخول الجيش الحرب قبل أن ينتتب بصورة كافية من استعداد الجيش لهذه المعركة.

وكان الشعب المصرى يومئذ يعتقد ما كانت سائر الشعوب العربية تعتقده.. وهو أن حكوماتها قد استعدت لهذا اليوم، وأعدت له عدته، وقد كان لديها من الوقت متسع لاستيفاء هذا الاستعداد!

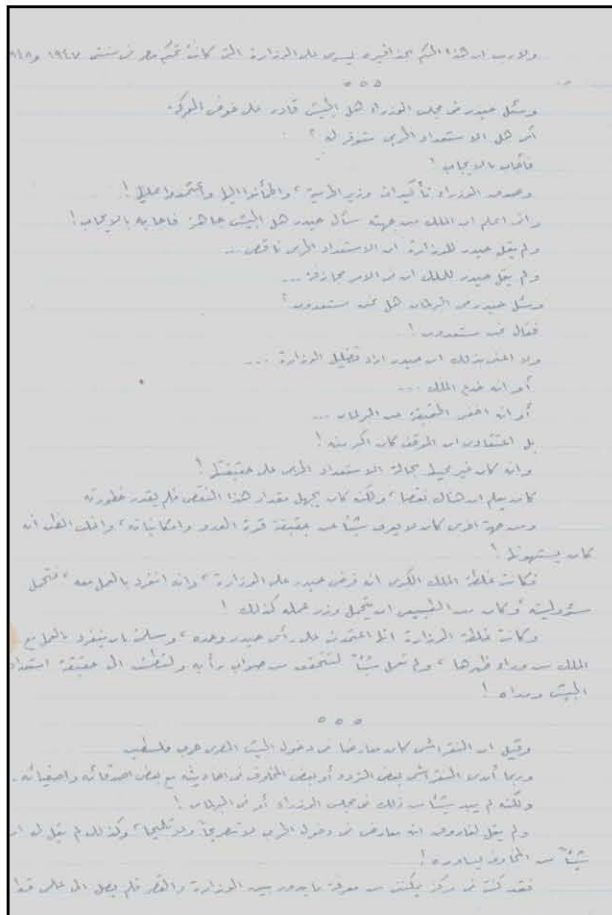
وهنا تبدأ المسؤوليات فى نظرى..

وعندى أن جميع الوزارات التى كانت تتولى الحكم فى مصر، وفى سائر البلدان العربية، عند حلول يوم ١٥ مايو ١٩٤٨ مسئولة عن كارثة فلسطين، وتبدأ مسؤولياتها من اللحظة التى أصدرت فيها حكومات الدول العربية قرارها بأن تدخل فلسطين عند جلاء الانجليز عنها، ولم تهئ لجيوشها الاستعداد العسكرى الذى يكفل النصر فى معركة، عرفت زمانها ومكانها قبل وقوعها بزمان ليس بالقصير!

ومسئوليتها فى نظرى مزدوجة.. فهناك مسؤولية التقصير فى الاستعداد الحربى، وهناك مسؤولية تضليل الرأى العام بإيهامه بأن الجيش مستكمل المعدات والاستعداد.

ولا ريب أن هذا الحكم بحذافيره يسرى على الوزارة التى كانت تحكم مصر فى سنتى ١٩٤٧ و ١٩٤٨.

♦ ♦ ♦ ♦ ♦



وسئل حيدر فى مجلس الوزراء.. هل الجيش قادر على خوض المعركة؟ أى هل الاستعداد الحربى متوفر له؟ فأجاب بالإيجاب!

وصدق الوزراء تأكيدات وزير الحربية، واطمأنوا إليها واستندوا عليها!

وانى أعلم أن الملك من جهته سأل حيدر هل الجيش جاهز؟ فأجابه بالإيجاب!

ولم يقل حيدر للوزارة أن الاستعداد الحربى ناقص، ولم يقل حيدر للملك أن فى الأمر مجازفة.

وسئل حيدر فى البرلمان هل نحن مستعدون؟ فقال نحن مستعدون!

ولا أعنى بذلك أن حيدر أراد تضليل الوزارة.. أو أنه خدع الملك.. أو أنه أخفى الحقيقة عن البرلمان، بل اعتقادى أن الموقف كان أكبر منه! وأنه كان غير محيط بحالة الاستعداد الحربى على حقيقتها! كان يعلم أن هناك نقصا، ولكنه كان يجهل مقدار هذا النقص؛ فلم يقدر خطورته.



ومن جهة أخرى كان لا يعرف شيئا عن حقيقة قوة العدو وإمكانياته، وأغلب الظن أنه كان يستهونها! فكانت غلطة الملك الكبرى أنه فرض حيدر على الوزارة، وأنه انفرد بالعمل معه؛ فتحمل مسئوليته، وكان من الطبيعي أن يتحمل وزر عمله كذلك! وكانت غلطة الوزارة أنها اعتمدت على رأى حيدر وحده، وسلمت بأن ينفرد بالعمل مع الملك من وراء ظهرها، ولم تعمل شيئا للتحقق من صواب رأيه، ولتطمئن الى حقيقة استعداد الجيش ومداه!

♦ ♦ ♦ ♦ ♦

وقيل إن النقراشى كان معارضا فى دخول الجيش المصرى حرب فلسطين. وربما أبدى النقراشى بعض التردد أو بعض المخاوف فى أحاديثه مع بعض أصدقائه وأصفيائه، ولكنه لم يبد شيئا من ذلك فى مجلس الوزراء أو فى البرلمان! ولم يقل لفاروق أنه معارض فى دخول الحرب لا تصرّحا ولا تلميحا، وكذلك لم يقل له إن شيئا من المخاوف يساوره! فقد كنت فى مركز يمكننى من معرفة ما يدور بين الوزارة والقصر؛ فلم يصل الى علمى قط أن هناك معارضة من جانب النقراشى أو من جانب وزير الحربية، ولم يبلغنى قط أن النقراشى متردد، وأن هناك ضغطا عليه ليعدل عن موقفه!

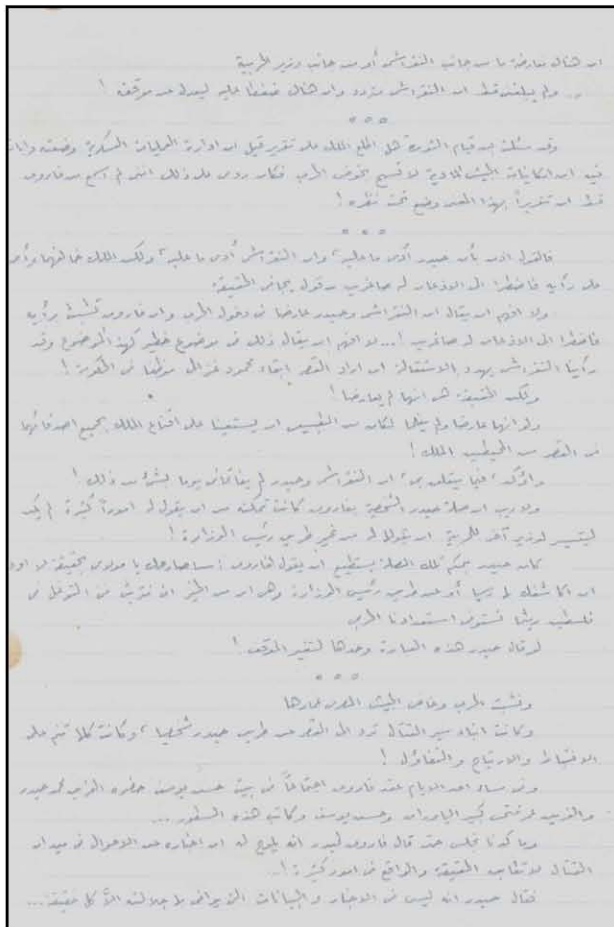
♦ ♦ ♦ ♦ ♦

وقد سئلت بعد قيام الثورة.. هل اطلع الملك على تقرير قيل إن إدارة العمليات العسكرية وضعته، وأبانت فيه أن إمكانيات الجيش المادية لا تسمح بخوض الحرب؟ فكان ردى على ذلك أنني لم أسمع من فاروق قط أن تقريراً بهذا المعنى وضع تحت نظره!

♦ ♦ ♦ ♦ ♦

فالقول إذن بأن حيدر أدى ما عليه، وأن النقراشى أدى ما عليه، ولكن الملك خالفهما وأصر على رأيه، فاضطرا إلى الإذعان له صاغرين؛ قول يجافى الحقيقة.

ولا أفهم أن يقال إن النقراشى وحيدر عارضا فى دخول الحرب، وأن فاروق تشبث برأيه؛ فاضطرا إلى الإذعان له صاغرين! لا أفهم أن يقال ذلك فى موضوع خطير كهذا الموضوع، وقد رأينا النقراشى يهدد بالاستقالة إن أراد القصر إبقاء محمود غزالى موظفا فى الحكومة!



ولكن الحقيقة هي أنهما لم يعارضا! ولو أنهما عارضا ولم يعلننا؛ لكان من الطبيعي أن يستعينا على اقناع الملك بجميع اصدقائهما في القصر من المحيطين بالملك! وأؤكد - فيما يتعلق بى - أن النقراشى وحيدر لم يفاتحاني يوما بشئ من ذلك!

ولا ريب.. أن صلة حيدر الشخصية بفاروق، كانت تمكنه من أن يقول له أمورا كثيرة لم يكن ليتيسر لوزير آخر للحرية أن يقولها له، عن غير طريق رئيس الوزارة!

كان حيدر بحكم تلك الصلة يستطيع أن يقول لفاروق: سأصارك يا مولاي بحقيقة لا أود أن أكشفك بها رسميا أو عن طريق رئيس الوزارة؛ وهى أن من الخير أن نترث في التوغل في فلسطين، ريثما نستوفى استعدادنا الحربى.

لو قال حيدر هذه العبارة وحدها لتغير الموقف!

♦ ♦ ♦ ♦ ♦

ونشبت الحرب وخاض الجيش المصرى غمارها.. وكانت أنباء سير القتال ترد إلى القصر عن طريق حيدر شخصيا، وكانت كلها تتم على الاغتيال والارتياح والتفاؤل!

وفى مساء أحد الأيام عقد فاروق اجتماعا فى بيت حسن يوسف، حضره الفريق محمد حيدر والفريق عمر فتحى - كبير الياوران - وحسن يوسف وكاتب هذه السطور..

وما كدنا نجلس.. حتى قال فاروق لحيدر: إنه يلوح له أن أخباره عن الأحوال فى ميدان القتال لا تطابق الحقيقة والواقع فى أمور كثيرة! فقال حيدر إن ليس فى الأخبار والبيانات التى يوافى بها جلالتة الا كل حقيقة.

فقال له فاروق: أنا لا أقول إنك تخدعنى أو تكذب على، ولكن أقول إنك أنت لا تعرف حقيقة الأحوال كلها، وتجهل ما هو حادث فى أمور كثيرة!

فأبدى حيدر استغرابه، وقال: إن هذا الكلام خطير للغاية.

فقال فاروق: أنا كنت أتوقع أن تسمع هذا الكلام.. فاسمع ما سأقرأه عليك..

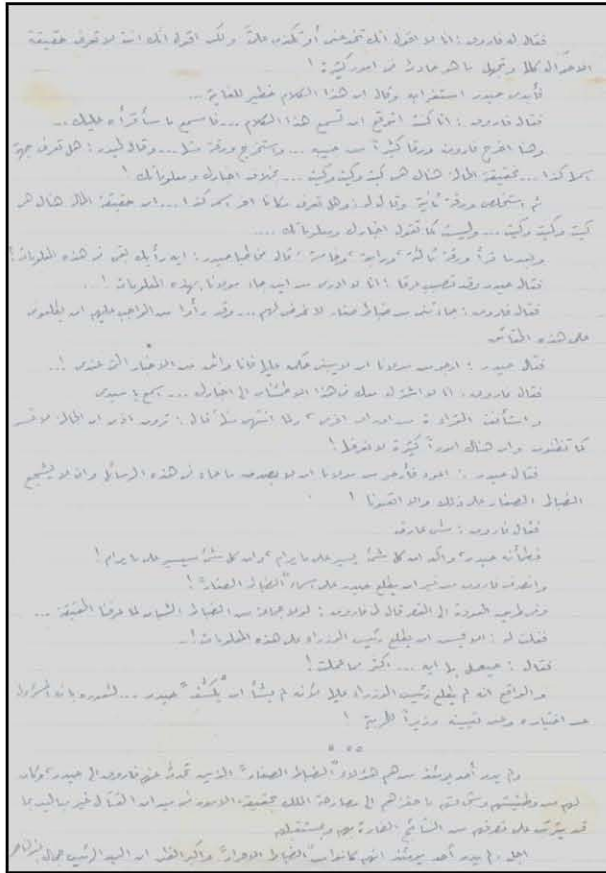
وهنا أخرج فاروق ورقا كثيرا من جيبه، واستخرج ورقة منها، وقال لحيدر: هل تعرف جهة اسمها كذا؟ فحقيقة الحالة هناك هى كيت وكيت وكيت، بخلاف أخبارك ومعلوماتك!

ثم استخلص ورقة ثانية وقال له: وهل تعرف مكانا آخر اسمه كذا؟ إن حقيقة الحالة هناك هى كيت وكيت وكيت، وليس كما تقول أخبارك ومعلوماتك.

وبعد ما قرأ ورقة الثالثة، ورابعة، وخامسة، قال مخاطبا حيدر: إيه رأيك بقى فى هذه المعلومات؟

فقال حيدر وقد تصبب عرقا: أنا لا أدري من أين جاء مولانا بهذه المعلومات!

فقال فاروق: جاعتنى من ضباط صغار لا غرض لهم، وقد رأوا من الواجب عليهم أن يطلعونى على هذه الحقائق.



فقال حيدر: أرجو من مولانا أن لا يبني حكمه عليها؛ فأنا واثق من الأخبار التي عندي!

فقال فاروق: أنا لا أشارك معك في هذا الاطمئنان الى أخبارك، اسمع يا سيدى..

واستأنف القراءة من أوراق أخرى، ولما انتهى منها، قال: ترون اذن أن الحالة لا تسر كما تظنون، وأن هناك أموراً كثيرة لا نعرفها!

فقال حيدر: أعود فأرجو من مولانا أن لا يصدق ما جاء في هذه الرسائل، وأن لا يشجع الضباط الصغار على ذلك؛ والا أتعبونا!

فقال فاروق: مش عارف.

فطمأنه حيدر، وأكد أن كل شئ يسير على ما يرام، وأن كل شئ سيسير على ما يرام! وانصرف فاروق من غير أن يطلع حيدر على أسماء "الضباط الصغار"؛ وفي طريق

العودة إلى القصر قال لى فاروق: لولا جماعة من الضباط الشبان لما عرفنا الحقيقة.

فقلت له: الا يحسن أن يطلع رئيس الوزراء على هذه المعلومات؟

فقال: حيعمل بها إيه.. أكثر مما عملت!

والواقع أنه لم يطلع رئيس الوزراء عليها؛ لأنه لم يشأ أن "يكشف" حيدر، لشعوره بأنه المسئول عن اختياره وعن تعيينه وزيراً للحربية!

♦ ♦ ♦ ♦ ♦

ولم يدر أحد يومئذ من هم هؤلاء "الضباط الصغار" الذين تحدث عنهم فاروق الى حيدر، وكان لهم من وطنيتهم وشجاعتهم ما حفزهم إلى مصارحة الملك بحقيقة الأمور في ميدان القتال، غير مباليين بما قد يترتب على تصرفهم من النتائج الضارة بهم وبمستقبلهم.

أجل: لم يدر أحد يومئذ أنهم كانوا من "الضباط الأحرار"، وأكبر الظن أنه السيد الرئيس جمال عبد الناصر.